# مواطنـــون يفتحـــون لـ ( ) صناديـــق أمانيهـــم

عامر القيسي

**ليس من الانصاف نكران المتغيرات المهمة التي حصلت في حياتنا خلال السنتين الماضيتين .. ولكن ،، .. توقفت السيدة سناء محمد مدرسة اللغة العربية ، عند هذا الحد وواصلت عملها المتأني في صب وتقديم "استكانات" الشاي للضيوف .في الباحة الأمامية للدار كان صوت المولدة الكهربائية الصغيرة ، يحتم علينا رفع أصواتنا في اثناء الحديث. واشارت سناء ، وهي تجلس قبالتنا الى المولدة : خدماتها ثمنها غال الكهرباء مقابل الكثير من المنغصات ، الصوت ، الوَقود ، التصليح.. اشياء كثيرة تبدلت في حياتنا قسم منها نحو الأفضل بالتأكيد .**

***الموظفون متفائلون وعمال المساطر يبحثون عن حلول لواقعهم وأصحاب البسطات يحسنون بضاعتهم**

***قصة الأم التي فقدت وحيدها امام باب الدار!**

***الواقع افسد الكثير من الأحلام واحيا غيرها من عالم النسيان !**

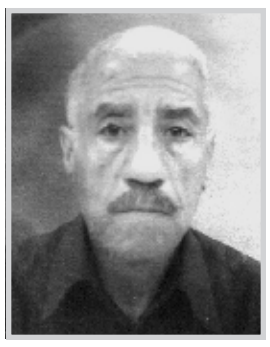

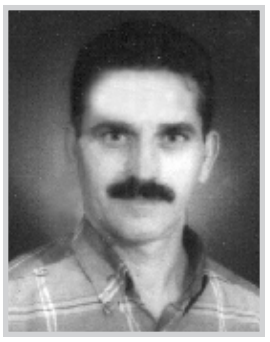

### حريتنا اولاً

واصلت السيدة سناء: خذ رواتبنا مثلاً، انعكست طبعاً على مستوى المعيشة في بيتي الان جهاز تلفزيون ملون مع ستلايت في غرفة الضيوف وتلفزيون آخر في غرفة الاولاد. قبل ذلك كان لدينا تلفزيون صغير بالأبيض والأسود، لا يمنحك متعة التفرج. فضلاً عن ان الفترة المسائية الذهبية، تذهب في معظمها للاخبار المكررة واجتماعات الاب ونشاطات الابن!!

على جانب آخر. خذ المدرسة مثلاً اصبح الالتزام فيها ضعيفاً والعطل الرسمية والشعبية باتت شيئاً غير معقول كل يوم عطلة يتحول الى ثلاثة ايام تلقائياً: قبل أثناء وبعد ! ومستويات الطلبة في تراجع لاسباب معروفة. التغييرات في المناهج بطيئة وقليلة ولكن الحقيقة، اننا كسبنا حريتنا في التعامل مع المنهج، وتخلصنا كلياً من ضغط ووصاية الادارات الحزبية، التي كانت تحاصرنا بالتعليمات والاوامر كما لوكنا جنوداً في وحدة عسكرية !

### من يعوض سنوات حرماننا ؟

يشاطرها الرأي، رحيم كاظم، مدير مدرسة ابتدائية. يقول: لقد مررنا بفترات اقتصادية عصيبة، كان الراتب في أحسن أحواله لا يزيد على ١٥ الف دينار. وعليك بهذا المبلغ ان تديم حياة عائلة. بكل احتياجاتها إضافة الى ايجار الدار. وكنت مضطراً لان اعمل عملاً أضافياً لان من حافظ على يديه نظيفتين كان عليه ان يعمل على حساب صحته وراحته الشخصية الوضع اختلف الان. ولكن بعد خدمة اكثر من ثلاثين سنة هي سنوات عذاب ومعاناة . من كان يحلم براتب نصف مليون دينار وبرغم ذلك فليس بمقدور هذا الراتب ان يعوضنا عن سنوات الحرمان تلك على المسؤولين الجدد ان يفكروا باعمارنا التي قدمناها لجيلين من دون اية امتيازات او مصالح شخصية .

### قصة معاق

في قيصرية ضيقة بمنطقة البتاويين كان عامر شوكت منحنياً على أريكة عريضة، منهمكاً يصلحها بجدية، واضحة من حركاته الموزونة والمكررة في سحب القماش ودق المسامير بآلية مدهشة، رحب بنا الرجل بعد ان ترك عدته، وهتف باعلى صوته لنادل المقهى الشعبي القريب من محله: "جواد جايات للخطار !" قال الاسطة عامر. انا معاق حرب وكنت أتسلم راتباً تقاعدياً مقداره ٢٥ الف دينار كل ثلاثة اشهر. الان الحمد الله تستطيع ان تضيف صفراً الى يمين هذا العدد ليصبح المبلغ ربع مليون دينار هذا شيء جيد. ومنذ عوقي في الحرب مع ايران عام ١٩٨٦ وحتى عام ٢٠٠٤ عملت مختلف الأعمال لاسد حاجة عائلتي المكونة من زوجة وطفلين والآن كما ترى انا صاحب هذا المحل اشتريته قبل أكثر من شهر، واستطيع ان ادفع إيجاره حتى كانت حركة العمل ضعيفة، قبل هذا كنت غارقاً بالديون واطلب المساعدات المالية من أقاربي من خارج العراق، وكنت اعتبر ذلك هدرا لكرامتي الإنسانية . اختلفت امور كثيرة في حياتي، ولكني مازلت اسكن مع عائلتي في غرفة واحدة . والحق يقال فقد كنت سابقاً لا افكر في بيت لان افق المستقبل كان مغلقاً وسوداوياً. الان اعتقد ان الحكومة ستفكر بنا لكي نتخلص من الإيجارات التي ترهق مدخولاتنا، ولا اعتقد بان توفير سكن امر كثير عليها. لقد قدمنا حياتنا لهذا العراق الجميل، فهل نستحق قطعة أرض فيه ام لا ؟ حين غادرناه كان جواد في طريقه الينا مع قوري الشاي، شربنا الشاي على عجل وودعنا (ابو مريم) بترحاب كبير.

### مكانك "راوح" !

حول طاولة معدنية مستطيلة، مصنعة على نحو سيىء، تحلق حولها بعض عمال واسطوات المسطر في الباب الشرقي، يشربون الشاي ويدخن بعضهم برتابة وملل، جلست بينهم استمع الى حواراتهم من دون ان اتدخل فيها. الاول: البارحة ليلاً، انفجار قوي ما ادري وين؟

الثاني: والله اني هم سمعته شراح يخلصهه هاي الشغلة !

تدخل الجايجي : تخلص عمي وداعتك تخلص !

اعدت له "استكان " الشاي وسألت الجالس بقربي، عن طبيعة عمله، استغرب بداية، ثم اجابني باريحية " اسطة قالب خشب" ليش عندك شغل عمي! وعندما افهمته مهمتي قال مبتسماً "عمي انتو بس تحجون وتكتبون، لكن منو يسمعكم وداعتك ملتهين بالكارسي!" صمت قليلاً واضاف: اجورنا تحسنت كثيراً لكن العمل غير متواصل لقد تخلصنا من عمل الصخرة في بيوت (الرفاق) وحدث في أكثر من مرة ان أخذونا للعمل في بيوت (الرفاق) مجاناً!. وكنا نتهرب حين تصل بعض السيارات المشبوهة التابعة لهم. في احدى المرات، عملت في بيت طه ياسين رمضان ولم يجلبوا لنا حتى الماء وصادف ان زار هو نفسه موقع العمل مع حمايته فحاول احد عمالنا الاستنجاد به، وقال له: سيدي منذ الصباح وحتى الان لا ماء ولا اكل كيف سنواصل العمل ؟ اقترب منه رمضان وصفعه بكل قوة مع سيل من الشتائم والسباب

### أين الاعمار؟

الجالس الى يساري يستمع الى حديثنا باهتمام. تدخل من دون اذن وقال: يا استاذ نحن عمال مسطر، وما زلنا عمال مسطر الآن أو سابقاً نريد ان نعمل عائلتي من سبعة أفراد، ينتظرون عودتي لأجلب لهم "المسواك" العمل متقطع، وليس لنا أي أمل حتى الان بتحسن أوضاعنا أين المشاريع.. أين الاعمار؟ لو كان ما يتحدثون به صحيحاً في التلفزيون عن مشاريع وغيرها، ما بقي عامل مسطر واحد هنا "الجايجي" تدخل ايضاً وقال ضاحكاً، صدقني، انا بالنسبة لي سواء كان هناك عمل او لا فأنهم يشربون الشاي بكثرة وحين لا يعملون فدفتر الديون موجود ولكن حين يتوفر العمل يسددون ديونهم بل يعطونني أكثر منها. أصبح الحوار الان مفتوحاً للجميع، واعتقد بانهم تصوروا باني صاحب العصا السحرية التي ستحل مشاكلهم. ابو علي يسكن في غرفة واحدة في مدينة الصدر مع ستة أفراد من عائلته أولاده موزعون في المدينة لبيع السجائر بالمفرد وبيع أكياس النايلون قال بحدة : "لو ما اشغلهم كان متنه من الجوع!". وهل هذا حالك قبل سقوط النظام قال نعم لقد ترك أولادي المدرسة لعيوني على أمور الحياة ثم سألني: كيف سيحلون مشاكلنا ؟ قلت له مهمتي ان أوصل صوتكم لمن يقرأ والبقية على أصحاب القرار.

### كيف ضاع حيدر؟

في بيت ام حيدر في منطقة اليرموك، كانت المرأة الخمسينية شديدة الهدوء صمتها ثقيل وحزنها يطفح من نظراتها الثقيلة ، قالت: عن أي شيء تسأل؟ في زمن صدام استشهد زوجي في الحرب مع إيران، وقبل عدة اشهر استشهد ولدي بقذيفة وهو واقف امام البيت ! منذ سقط النظام حصل حيدر على حريته إذ تخلص من ثقل الخدمة العسكرية وهو مكلف وخريج إعدادية الفرع العلمي، وبدأ يزاول بعض الأعمال مع أقاربنا وبدأ الحال يتحسن شيئاً فشيئاً وقلت مع نفسي، سيعوضني الله عن سنوات الحرمان في ذلك الزمن، ولاسيما أني رفضت الكثير من طلبات الزواج لاجل ابنتي التي تزوجت، وبقي حيدر أملي الوحيد في الحياة. ولكن أية يد اختطفت هذا الأمل من بين يدي؟ الامريكان ؟ الإرهاب ؟ قدر الله ؟ لا ادري ! وفي كل الأحوال ذهب حيدر ولن اراه بعد الان. وضاع الامل معه. ثم تساءلت. من سأل عنا من قال كيف ولماذا ضاع حيدر من بين يدي ؟ ماذا قدموا لنا ؟

### قاعدة المثلث

سالم عبد الله "ابو محمد" مفصول سياسي، عمره ، ٥٥ عاماً. له خدمة فعليه عشر سنوات، وترك الخدمة بعد ملاحظات امنية يقول: أعادوني كمفصول سياسي ولكن بلا حقوق. صحيح ان بعض جوانب حياتي قد تغيرت. فقد كنت حتى قبل يوم من اعادتي للعمل قبل سنة تقريباً افترش بسطية صغيرة على الرصيف في بغداد الجديدة، احمل اغراضي في "كونية" في رحلة عذاب يومي من البسطية الى البيت وبالعكس كان الدخل سيئاً ومحسوباً بالدنانير القليلة. الان جلس المثلث على قاعدته، فانا اليوم اداوم في دائرتي بعد ان تركت البسطية التي انهكتني ليس جسدياً فحسب وانما نفسياً ايضاً.. لكن ما كان يخفف من وطأة عملي السابق، ان الاخرين على الرصيف مثلي، فاحدهم مدرس والاخر مهندس كهرباء ولم يستطع العمل في اية مؤسسة حكومية لانه "مشبوه" حسب وجهة نظر الدوائر التي كان يريد العمل فيها وأين هو الان ؟ سألته. قال مبتسماً "الله يوفقه" كان شاباً ممتازاً لقد قيل لي، بان أحواله ممتازة وهو يعمل في أحد مكاتب المقاولين لكننا لم نلتق. ولكن قيل لي ان احواله ممتازة وواصل: الذي يعكر هذا الجو، هو الوضع الامني لو تمت السيطرة عليه، حسب اعتقادي، فلن ترى بسطية واحدة على الرصيف لان العمل سينفتح على افق واسع. واحكي لك عن تجربة الكثير من اصحاب البسطيات، فهم اختصاص، من خريجي الجامعات والمعاهد وعليك ان تتأكد بنفسك !

### بسطات وخريجون

وفي عالم البسطات كان المشهد متشابهاً، فالنماذج السبعة التي التقيناها كان خمسة منهم اصحاب شهادات جامعية، موفق مثلاً يبيع الاحذية على رصيف بسطات الباب الشرقي قال بمرارة: حاولت التعيين لكن الأبواب كانت مغلقة، وانا من خريجي عام ١٩٩٥ كلية الإدارة والاقتصاد. الأمور الان افضل بكثير. فتقاعد والدي قد تحسن، وأختي تعمل في احدى الصحف على الحاسبة الالكترونية، وعملي جيد هنا الناس يشترون ويبحثون عن الأفضل. سابقاً كنت اجلب اردأ انواع الاحذية وارخصها، لان قدرة الناس الشرائية كانت ضعيفة تماماً، بدأت أبيع الأحذية الأجنبية، بعد ان كنت ابيع حتى المستخدمة منها، وباسعار لا تتصور رخصها، وفي بعض الأحيان بخسارة، أي اقل من سعر الشراء، والسبب لأني لا اريد ان اعود الى البيت خالي الوفاض، فهناك اناس يريدون ان يأكلوا ثلاث وجبات في اليوم وصدقني، لأني لم أكن قادراً على معالجة أسناني التي أعاني مشاكل فيها في حين بت اذهب الى طبيب خاص أسبوعياً ليعالجني من مشاكل أسناني التي نغصت علي عيشتي !

### واقع وحلم

أناس يرحبون بالتغيرات التي حصلت في حياتهم لكن القلق هو العامل المشترك لأفكارهم، ومنغصات كثيرة تتناولهم أولها الوضع الأمني فالواقع افسد الكثير من الأحلام واحيا غيرها كانت في عالم النسيان . الامل وحده في تحولات جوهرية في حياتهم نحو الاحسن لا يزال هاجسهم، وحلمهم اللذين يبحثون عنهما، في ظل واقع يتلاعب بأفكارهم وتطلعاتهم نحو غدٍ أفضل .

---

تحت الضوء

## فلنحمِ آثارنا! بالأمس المتحف العراقي واليوم الملوية وغداً..

حسين محمد عجيل

لم يكن المصير المروّع الذي آلت إليه آثار الحضارات العراقية الباذخة، المتحفية منها وتلك النائمة مطمئنة في تجاويف التلال الأثرية، ضمن تداعيات سقوط النظام المتفسخ ودخول قوات الاحتلال الأمريكي إلى بغداد، في مثل هذه الأيام قبل عامين حين تركز نظر العالم كله إلى المتحف العراقي الذي استبيح ثلاثة أيام متتالية على مرأى من القوات الأمريكية التي اكتفت بالتفرج! إلا تتويجاً لتاريخ طويل من التخريب والإساءات المتنوعة للتراث العراقي بصور وأشكال ومقاصد مختلفة، ترجع بداياته المعروفة إلى مطلع القرن التاسع عشر؛ إذ كان العراق . لسوء الحظ . ميدانَ تنقيب عشوائي في الغالب، مارسه هواة اقتناء التحف الأثرية والمتاجرون بها من قناصل الدول الغربية الذين كانوا يعملون بصفاتهم الدبلوماسية في مدن العراق الرئيسة، والمغامرين والرحالة الأجانب المولعين بالتاريخ القديم، والمستشرقين وبعض المؤرخين المتحمسين الذين كانوا يحاولون إثبات صحة المعلومات التاريخية الواردة في التوراة. هذا فضلاً عمن تعلم منهم هذه (الصنعة) المدمرة من السكان المحليين، فاتخذها تجارة رابحة. بينما دفع الجهل المطبق آخرين منهم إلى هدم شواهد حضارية كانت قائمة آنذاك بهدف بناء بيوت متداعية!

ولكن تبقى مرحلة حكم النظام الساقط، في الخمس والعشرين سنة الماضية تحديداً، هي المرحلة الأقسى والأشد لؤماً في هذا التاريخ الطويل؛ إذ أدت إساءاته المتعمدة لآثار العراق وتراثه الوطني إلى إتلاف آلاف من الشواهد الحضارية الفريدة لإنسان وادي الرافدين عبر أكثر من سبعين قرناً من العطاء الثر، بحيث مُسح العراق تماماً من خريطة منظمة الثقافة العالمية (اليونسكو) المخصصة لمواقع التراث العالمي، بالرغم من ادعاءات رأس النظام وحديثه الرخيص عن حضارة دمر معالمها!

وغير بعيد عن هذا التوجه ما حدث قبل أيام حين أقدمت مجموعة إرهابية من بقايا ذلك النظام المتفسخ على ضرب مئذنة سامراء التاريخية الفريدة في طراز بنائها، ما أدى إلى تدمير قمتها، وخسارة البلاد جزء عزيز من أهم شواخصه الحضارية التي سلمت بأعجوبة من مصير أسود كان يتربص بها حتى الأيام الأخيرة من عمر رأس النظام المقبور، الذي كان يحاول جاهدا تدمير المتبقي من جامع (سُرّ من رأى) بحجة إعادة ترميمه، على غرار ما فعل بآخر عواصم العراق القديم بابل، ليكون اسم المدينة (ساء من رأى)!

وإذ لا يتورع هؤلاء الإرهابيون الصداميون عن فعل أي شيء، بعد أن صالت القوات الأمريكية وغيرها في مواقعنا الآثارية وجالت دون رقيب أو حسيب مسببة كوارث حقيقية فيها، نعتقد أن من حق هذا الموروث غير المصان أن يحمى قبل أن يختفي المتبقي منه إلى الأبد. وأول ما يتوجب أن تفعله الحكومة المنتخبة، إنشاء تشكيلات حقيقية لحماية مواقع الآثار، تكون مرتبطة بوزارة الداخلية وتجهز بأسلحة وأجهزة اتصال متطورة، وآليات سريعة. ولن نطالب بالكثير إذا أكدنا أهمية تزويدها أو دعمها بطائرات توفر المراقبة الدائمة والدعم اللوجستي السريع، على أن تدمج فيها القوة الضئيلة وغير الفاعلة الموجودة الآن. والتي تدل تقارير مراسلينا في المحافظات على عدم قدرتها على العمل بسبب قلة منتسبيها وعدم تجهيزهم بما تدربوا عليه في دورات خارجية كلفت الميزانية، المصابة أصلا بفقر السيولة، مبالغ طائلة.

أليس من الغريب حقا أن تنشىء الأردن وزارة للآثار مع أن كل ما تمتلكه هذه الدولة المجاورة من مواقع أثرية لا يتجاوز الـ ٤٠٠ موقع فقط؟ في حين أن دولة كالعراق تمثل متحفا تاريخيا نادرا لكل عصور حضارة الإنسان على هذا الكوكب ليس فيها وزارة تختص بشؤون الآثار، مع أن ما تحتويه من المواقع الأثرية غير المنقبة فقط أكثر من عشرة الآف موقع! إنه تساؤل بسيط بحاجة إلى إجابة!